الصلاة

الصلاة كما نعلم جميعا عمود الدين، ومن اقامها فقد اقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين ويقتل تاركها دون غيرها من سائر الواجبات والحرمات التي لم يرد فيها حدا معين. تارك الصلاة حكمه القتل وذلك لعظم شأنها في هذا الدين.

وكان النبي «ص» : اذا توضأ للصلاة يصفر لونه وكان امير المؤمنين «صلوات الله وسلامه عليه» اذا اخذ في وضوئه تغير لونه وكان الحسن «عليه افضل الصلاة والسلام» اذا فرغ من وضوئه تغير لونه وورد ذلك عن السجاد «صلوات الله وسلامه عليه» حتى وصف بانه اذا قام للصلاة صار كأنه خشبة او كأنه كما في الحديث «غصن شجرة ثابت لا يتحرك منه الا ما حرك الريح» وكان الخليل ابراهيم «صلوات الله وسلامه عليه» يسمع له في صلاته ازيزا كأزيز المرجل. والمرجل هو القدر الذي يغلي. وكان ذلك يسمع ايضا من صدر سيدنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكانت فاطمة «صلوات الله وسلامه عليها» تتنهد في الصلاة خشية من الله وخيفة.

وقد ورد انه لا يقبل من الصلاة الا ما اقبل العبد عليه منها حتى ورد في الحديث عن السجاد «ص» «انه ربما قبل من العبد نصفها او ربعها او ثمنها او خمسها»

فقال له السائل : اذا هلكنا !؟

فقال : لا ـ لان الله يتم ذلك بالنوافل..

والحقيقة ان الدعاء والمناجاة مع غفلة القلب لا يصح ان يسمى مناجاه او دعاء. فان المناجاة مع الغفلة مجرد كلام خارج من الفم على مقتضى العادة ولا يسمى مناجاة فمثلا في القرآن اذا قال : «اهدنا الصراط المستقيم» وكان غافل القلب فأي سؤال هذا ؟ لا يدري هو بماذا سئل !!

ولذلك مدح الله قوما وذم قوما في الصلاة ـ فقال ـ سبحانه وتعالى ـ في مقام المدح «قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون» وفي مقام الذم فذكرهم وقال «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون» وهؤلاء لم يتركوها وانما كانوا غافلين عنها !

يقوم ويقعد.. ويركع ويسجد.. ويتلو ويدعو بمقتضى العادة انه يركع ويسجد ! فالصلاة ليست الا التواضع والتمسكن والتخشع وليست قياما وقعودا.. وركوعا وسجودا.. اذ ان الانسان عندما يخاطب غيره وهو غافل القلب ففي الحقيقة هو لا يخاطب وانما بمقتضى العادة هو يتكلم، فاذا كان قلب العبد محجوبا بحجاب الغفلة لا يشاهد جلالة الله «سبحانه وتعالى» في الصلاة، وكذلك المقصود من الركوع والسجود انما هو التعظيم لله «سبحانه وتعالى» فاذا لم يكن حاضر القلب حين ركوعه وسجوده لم تبق الا حركة الجسم

وحركة الرأس ولا يسمى ذلك تعظيما او اجلالا الا مع حضور القلب والقصد الى هذا الفعل تعظيما وهكذا في الاذكار الواردة في الصلاة ـ فأنها ـ هذه التسبيحات وهذه الاذكار الذي يقصد بها الحمد والثناء على الله «سبحانه وتعالى» اذ هو المخاطب في الصلاة.. واذا لم يكن القلب حاضرا «كيف يكون ذلك حمدا وثناء ؟

فالحمد والثناء للمخاطب يقتضي حضور القلب او احضار القلب حين الخطاب حتى يسمى هذا حامدا حتى يسمى مادحا.

ايضا في مقام الدعاة اذا لم يكن حاضر القلب لا يسمى مناجيا لا يسمى متملقا لله «سبحانه وتعالى».

ان قلت فكيف هذا والفقهاء لم يشترطوا في صحة الصلاة اكثر من حضور القلب عند تكبيرة

الاحرام ولم يشترطوا في صحة الصلاة دوام حضور القلب من اولها الى اخرها ـ نقول : هناك فرق بين مقام الاجزاء وهو الذي يتكلم عليه الفقهاء وبين مقام القبول وهو مصب هذه الابحاث ـ أي «ابحاث علم الفقه» فمعنى الاجزاء وهو ما اسقط التكاليف «يعني ان يقال انه ادى الصلاة».

اما ان تقبل بمعنى يترتب عليها الثواب الاخروي ويترتب عليها دفع العقاب الاخروي ويحصل منها الفضل الآخرون ـ هذا معنى القبول ـ فهذا انما يكون بقدر ما احضر قلبه فيها.. ولا شك انه اذا احضر القلب عند تكبيرة الاحرام فقد حصل مسمى التوجه الى الله «سبحانه وتعالى» عندئذ ينطبق عليه انه توجه الى الله سبحانه وتعالى ولو في جزء من اجزاء الصلاة فيحكم الفقهاء بصحة تلك الصلاة.

والحقيقة ان حضور القلب هو روح الصلاة ولو اردنا ان نمثل الصلاة بالكائن الحي لقلنا ان الكائن الحي اذا انبسطت الروح في كل اجزاءه امكن ان تحصل منه كل الاثار المترتبة على حياته ـ من ـ الحركة اذا كان متحركا ـ

ـــــلاة

الدرس الرابع

يلة الشيخ سليمان المدني

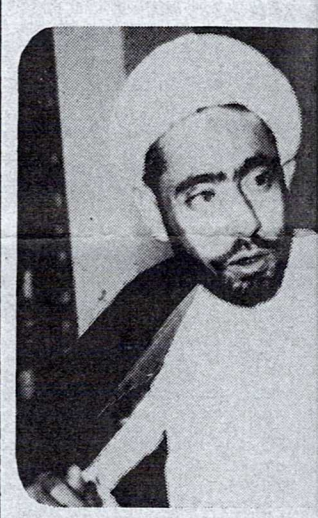

من الفعل اذا كان فاعلا ـ يعني كل ما يترتب على الحياة يمكن ان يحصل منه اذا كان الروح منبسطا في جميع اجزاءه.

اما لو كان هذا الحي مشلولا لا يمكنه الحركة ليس معنى ذلك انه لا ينطبق عليه اسم «الحي» هو كائن حي ولكنه نتيجة لانقباض الروح من سائر اجزاءه لا تتحقق منه آثار الحي ولكن ينطبق عليه انه «حي».

فالصلاة باحضار القلب عند تكبيرة الاحرام خاصة تكون حية، لذالك يحكم الفقهاء بصحتها ـ ولكن هل تترتب عليها جميع الاثار المترتبة على الصلاة من النهي عن الفحشاء والمنكر ؟ هل تترتب عليها الاثار الاخروية ؟

ـ طبعا ـ بمقدار ما حضر فيها القلب يترتب.. وبمقدار ما غفل المصلي لا يترتب.

فقد ورد في الحديث عن النبي «ص» «من صلى ركعتين لم يخطر في قلبه فيهما شيء من امور الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه».. وفي رواية عن الصادق «عليه السلام» «اذا قبل الله حسنة من عبدا لم يدخله النار واذا قبل الله صلاة ركعتين من عبدا لم يدخله النار» يعني صلاة ركعتين تامتين من اولهما الى اخرهما كان حاضر القلب، فاذن الصلاة مع الغفلة يصدق عليها ما يقوله بعض العصريين من انها رياضة جسمية لكن لا يصح ان يطلق عليها انها رياضية روحية وانها خدمة لله «سبحانه وتعالى» كان ائمتنا «صلوات الله وسلامه عليهم» اذا قام احدهم للصلاة ياخذه مثل «الافكل» ترتعد فرائضه وحتى انه سقط الرداء عن منكب زين العابدين «عليه السلام» فلم يسويه على منبكه حتى فرغ فقيل له في ذلك : فقال : أتدرون بين يدي من أنا واقف ؟

والحقيقة ان لب الصلاة يتكون من ست جمل :

الاولى : حضور القلب..
الثانية : تفهم المعنى ..
الثالثة : تعظيم المخاطبة..
الرابعة : الهيبة من المخاطب..
الخامسة : الرجاء في المخاطبة..
والسادسة : الحياء من المخاطب..

اما احضار القلب فالمقصود به ان يكون المصلي يعلم بما يقول ويعلم بما يفعل لا أنه يقول ولا يعلم بما يقول !! وانما يتحرك لسانه بقراءة او بسورة او مثلا بالتسبيحات او بالاذكار او بالادعية وغيرها تلقائيا بحسب العادة لابد ان يكون يعلم بكل ما يقول وهذا معنى حضور القلب.

واما تفهم المعنى فهو امرا خلف حضور القلب فربما يتكلم الانسان مع غيره بكلاما ويكون حاضرا القلب حين القاء الكلام لكنه لا يتفهم معاني ما يقول ـ اي لا يقصد معاني ما يقول ! فاذن لابد ان يتفهم الانسان معاني الصلاة حين نطقها ـ فمثلا ـ اذا قرأ آية مع حضور قلبه وجه فكره الى معاني هذه الاية هذه التسبيحات فعندئذا تنبثق له في صلاته منها معان ما كانت لتنبثق لولا ان يكون هو في ذلك الموقف.

وبطبيعة الحال هذا مورد يتفاوت فيه الناس.. وليس كل الناس تفهم القرآن بمستوى واحد او تفهم التسبيحات بمستوى واحد ولكن كلا على حسب ما اعطاه الله «سبحانه وتعالى» من العلم والمعرفة والفهم ينبغي ليتفهم ما يقول.

واما التعظيم فالمقصود به ان يدرك مدى عظمة المولى «سبحانه وجلالة شأنه» ومدى حقارته هو ومدى صغره ـ بقدر وسعه وامكانه في فهم معنى العقيدة ـ هو ـ ايضا يتمكن ادراك ذلك في الصلاة.

اما معنى الهيبة.. والهيبة عند الناس هو الخوف والمقصود بها ليس الخوف بقولا مطلق ولكن الخوف المنبعث عن اجلال المخاطب ـ يقال ـ له هيبة، يفضي حياء وايضا يفضي من مهابة فلا يكلم الا حين يبتسم. فالمهابة في الحقيقة هو الخوف الناشيء من التعظيم اما لو كان الخوف لم ينشأ من تعظيم الشيء لا يقال له هيبة.

الخوف من النار لا يقال له هيبة

الخوف مثلا من الفقر لا يقال له هيبة.. وانما يقال الهيبة اذا كان من شخص بتصور عظمته ـ جلاله ـ سطوته ـ قد تحصل خشية في قلب الشخص الاخر هذا الخوف المنبعث من القلب نتيجة لتصور الجلال او العظمة ـ السلطان او القدرة وهو الذي يسمى هيبة. فالهيبة من الله «سبحانه وتعالى» هو الخوف منه بسبب ادراك جلاله قدره ادراك مدى عظمته ـ هذا معنى الهيبة المقصودة.

واما الرجاء فالمقصود به ان يكون راجيا فضل المخاطب وراجيا حلم المخاطب والا لو صلى وهو لا يرجوا من الله «سبحانه وتعالى» اي يئس «والعياذ بالله» من رحمته فهذا لا يسمى مصلا ولا تقبل صلاته بل لابد ان يكون خائفا من الله راجيا لما عند الله حتى يكون مصليا ـ عن السجاد «ص» «ما اجتمع الخوف والرجاء في قلب الا واوجبنا الجنة» فمتى ما خاف الانسان ربه ورجى رحمته وعطفه وفضله وجبت له الجنة ـ وجب ـ بمعنى حق صار واجبا على الله من باب اللزوم الشرعي ولكن ـ وجب ـ بمعنى حق او هو يستحق الجنة. العبد الذي يكون خائفا من الله وراجيا ما عند الله يكون من اهل القرب من الله من اهل المنزلة عند الله والجنة دار كرامة الله كما ان النار هي دار الهوان عند الله.

واما الحياء فمعناه ان ما يحصل بتذكر التقصير انما يقال فلان يستحي من فلان اذا كان يعتبر نفسه مقصرا في حق فلان يخجل منه وتحصل له حالة هذه الحالة تسمى «حياء» فيتذكر الانسان لذنوبه وتقصيره في خدمة مولاه «سبحانه وتعالى» يستحى من الله، فاذن هذه الجمل الست هي في الحقيقة كمال الصلاة وفضل الصلاة.

الدرس الخامس «آداب الصلاة» في العدد القادم